الأديب

كان يسير في ارتخاء ، عيناه شاردتان ، وفي فمه عقب دخينة لم يعد يومض بنار. وكان ينقل رجليه كانما يرمي بهما في حماة طين ، ولكنه لم يكن حذرا حذر من يرمي برجليه في بركة لا يعرف لها قرار ، وانما كانت حذاؤه تصطدم بالارض كأن له معها ترة . كان قميصه المخطط القصير الاكمام قد استحال لونه حتى لم يعد ينتسب الى لون ، وارتخت عضلات سرواله حتى انتفخ موطن الركبة منها ، وبدا وقد براها البلى ، كانما توشك ان تكون غربالا يتيح لانوار الشارع ان تغمر ركبتيه. كان وجهه الاسمر يؤذن بغضون تكاد تتحلق عينيه السوداوين . وبدت جبهته متغضنة كانما يحمل على رأسه ثقلا يخشى ان ينهار . وبدا عنقه من قميصه المفتوح الازرار منكشفا عن وريدين يتقلصان في انفعال. وغمر خديه ولبته شعر فاحم متيقظ ، وبدا ساعداه المفتولان في قوة وعزم كانما تنبئان عن رغبة في صراع .

سار ثم سار لا يحفل بالذين يصدمهم في سيره ، كما لو كان يسير في طريق لفظته ارجل السائرين، ولكن اذنيه اصطدمتا بصوت ناعم طري يهتف :

ـ شيء ... بركة الله .

وتشاغلت اذناه .. فأصداء الاصوات العالية العنيفة التي كان يحفل بها الشارع : اصوات منطلقة من باعة متجولين ، من سيارات وشاحنات ، من ركاب دراجات وعربات ، لم تكن اذناه تحتفلان بكل ذلك ، ولم تكن عيناه .. ولكن الصوت الناعم الح في سؤاله :

ـ آذاك المؤمن .. شيء بركة الله.

ولم تثره الكلمات مثل ما اثاره الصوت الناعم الصغير الهادىء المليء بالحنان والاستعطاف والطفولة .

ولم تتشاغل اذناه هذه المرة ، وانما احستا بوقع الصوت الريان فاستجابتا لحنانه وهما تستزيدان .

وتعمدت عيناه الا تلتفتا لمصدر الصوت عله يجود مرة اخرى بدفقته الدافئة، وتباطأت رجلاه في غير توقف ، وران بين ناظريه ظل يتبعه ، يقصر عن ظله ولكنه يجاهد ليلحق به وهتف الصوت مرة اخرى في غير يأس :

ـ الله يخلي لك اولادك .. آذاك المؤمن .. شيء بركة الله .

وامتدت يداه ، دون ان تطرف عيناه او تتوقف رجلاه ، الى جيبه ، وبحثت اصابعه في قلق بين منديل وعلبة دخائن وعلبة وقيد ومجموعة مفاتيح وموسى صغير ، تلمست اصابعه طريقها بين كل ذلك لتصل الى قعر الجيب باحثة عن عشر فرنكات .. وسار الظل الصغير

مصير ..

بقلم عبدالكريم غلاب

يحاذيه ، وتلفت الى الارض ليرى الظل يلاحقه كانما يريد ان يطوله . وانتزع الظل عينيه من شرودهما ، وعاد الصوت بنغمه العذب يهتف :

ـ الله يعطيك حجة في النبي .

واستجابت عيناه واذناه جميعا ، وتلفت هذه المرة نحو مصدر الصوت ومصدر الظل ، فكانت بنتا صغيرة عذبة المحيا جميلة العينين ينطق وجهها بالبؤس ولكنه لا ينطق بالضعة. وابتسمت عيناها لعينيه كانما تعرفانه من زمن بعيد . حاول ان ينتزع من فمه بسمة يرد بها التحية ، ولكنه لم ينجح الا ان يزيح العبوس من وجهه فيما خيل له .

وتباطأت يداه في جيبه ، فقد أحس في اذنيه شوقا للصوت العذب. ولكن الصبية اطمأنت الى ادراكه فلم تزد على ان مدت يدا ، واسرعت برجليها تلاحقه في صمت باسم . ورفع عينيه عن وجهها الصبوح كانما يحاول ان يستجديها هو الاخر ، فلم تبخل ، وانما رفعت وجهها اليه وهي تمد يدها تكاد تلامس ساعده :

ـ آبوي اعطني شيئا استعين به على غذائي .. ريال لله .

وارتفعت اصابعه من جيبه بالفرنكات العشرة ، وضعها في يسراه ثم امتدت الاصابع تبحث عن قطعة اكبر .. خمسون فرنكا هذه المرة ، ونفحها القطعتين دون ان يقاوم شوق عينيه للنظر في الوجه الباسم الشاكر . وسمع الصوت مرة اخرى يغرد :

ـ الله يخلف عليك .. الله لا يجوع لك كبدا ..

وانطلقت الارجل تسعى في خفة تكاد تفر . واحس كأن شيئا يهرب منه فانطلق صوته يهتف بها :

ـ تعالي انت .. تعالي يا بنتي .

وتلفتت الصبية نحو مصدر الصوت، وتوقفت رجلاها الدقيقتان وهي تفكر :

ـ ربما .. ربما كان ما اعطاني كثيرا يريد ان يستعيد بعضه ، ودست كفها الدقيقة المقفلة في ثيابها، واستجابت عيناها ببسمة لامعة ووقفت تنتظر .

واحس محمود بتخوفاتها فابتسم للعينين الطافحتين بالصفاء وهو يقول :

ـ تعالي ... لا تخافي .

تقدمت نحوه خطوة وتقدم خطوة وهو يقول :

ـ من تكونين ؟

ـ انا ..؟ عائشة ...

ورن الاسم في اذنيه كانما لم يكن يتوقع ان يسمع اسم عائشة ،وعادت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عيناه تسبحان في الفضاء ، وعاد وجهه الكالح يكتسي صرامته ، وتغضنت جبهته من جديد والابتسامة تفارق وجهه . وطاف بوجه عائشة طيف من الذعر ، ولكنها حاولت ان تتغلب على ذعرها بابتسامة خفيفة انتزعتها من مخاوفها ، وسرعان ما ارتدت العينان الصارمتان الى الوجه الصبوح ، وهو يسأل يكاد يكذب اذنيه :

ـ قلت ... اسمك... اسمك ماذا ؟

وعاد الاطمئنان الى البنت الصغيرة وهي تجيب مؤكدة :

ـ عائشة ... عائشة يا بوي..

وردد معها محمود وكانما يريد ان يتأكد : عائشة ... عائشة ..

اسم اليف اليه ، فهو يردده في اليوم عشرات المرات حينما يصحو من نومه ليوقظ عائشة من نومها لتعد نفسها للمدرسة ، وهو يردده حينما يعود الى المنزل ظهرا لتناوله عائشة طعامه ، وهو يردده مرات يستحثها ان تتناول غذاءها لتلحق بمدرستها ، وهو يردده ، مساء حينما يعود من عمله مكدودا في حاجة الى كأس ماء او علبة وقيد او قطعة صابون يغسل بها ما علق باطرافه من اردان العمل ، وهو يردده حينما يريد ان يستحثها على مراجعة دروسها . ولكن اسم عائشة لم يقع في اذنه مثل وقعه ذاك والصبية الحلوة تنطق به في صوت عذب :

عائشة ... عائشة .

وحاولت عائشة ان تفلت ، وهي تودعه على عجل ، ولكنه التفت اليها وهو يستبقيها :

ـ تعالي ... فما تزال عندي بقية من اسئلة .

وتوقفت عائشة مترددة لا تدري أتقف ام تفر . فمد محمود يده مرة اخرى في شبه انفعال الى جيبه ليقنعها بالبقاء .. وافتر ثغرها عن ابتسامة سعيدة وهي تطرد ترددها فتقترب منه بدلا من ان تفر .

تشاغلت يداه ليستبقيها ، ولكن فكره كان ما يزال يسبح :

انها في سن عائشتي ، ولكنها اجمل واحلى .. ربما في مثل ذكائها فعيناها لامعتان وحديثها دقيق معبر عذب ، حركاتها نشيطة مثل نشاط عائشتي .. بائسة بثيابها المتسخة ورجليها الحافيتين ولكنها غير وضيعة .

وطفر الاسم مرة اخرى الى فكره وهو يسبح :

لم يمنعها اسم عائشة عن ان تمتد يدها بالاستعطاء. ربما لم يكن لها اب

عبدالكريم غلاب

●

يحمي يديها عن ان تمتدا للاستجداء بدلا من ان تمتدا لقلم تحمله وكتاب تقراه ، ربما لم تكن لها ام..ولكن..

وانتزعه من افكاره قلق بدا في عيني الصبية وقد طال تحديقها في اليد الباحثة في الجيب ، فالتفت اليها يسأل :

ـ ولكن من يكون ابوك ؟

وفوجئت الصبية بالسؤال وقد بدا لها فضولا لم تجده عند أي من الذين تلتقي بهم تستجديهم فيمنحون او يمنعون ، وحاولت ان تتخلص من السؤال اذ فكرت في ان محمودا يفكر في ان يشكوها لوالدها . وتطلعت اليه بعينيها الضاحكتين ، وهي ما تزال تطمع فيما ستخرجه الاصابع الباحثة في الجيب ، وجدت السؤال ما يزال يحوم في عينيه فاجابت :

ـ ابي هو ابي..

وضحك محمود لهذه السذاجة المفتعلة ، وادرك انه يجب ان يفي ، فان يده حين امتدت الى جيبه كانت وعدا جديرا بالوفاء . وخرجت يده بقطعة فضية بيضاء : درهم . وامتدت اليد وهو بين سبابته وابهامه كانما يريد منها ان تتأكد من ان القطعة درهم كامل . وافتر فم عائشة عن اسنان دقيقة بيضاء ، ابتسامة شكر واعتراف بالجميل ومدت يدها تأخذ الدرهم وهي تدعو له :

ـ الله يخلي لك بنيتك .

ووقعت من نفسه كلمة «بنيتك» وقعا غريبا : كيف عرفت ان لي بنتا؟ وانصرف عن هذا الخاطر ليعيد السؤال :

ـ اما تريدين ان تخبريني من ابوك ؟

ولم تقو عائشة على المقاومة هذه المرة فاجابت في سرعة وثبات :

ـ ابي اسمه محمود .

محمود ...؟

لفظ السؤال في استغراب وبصوت ناكر ، وازداد تطلعه لمزيد من المعرفة، ولكنه احس ان الاهتمام والصرامة اللتين تجللان وجهه تبعثان شيئا من الرعب وعدم الاطمئنان يبدوان سريعا في وجه الصبية ، فعاد يصطنع الاطمئنان وهو يعيد السؤال :

ـ ابوك اسمه محمود ؟

وعاد الاطمئنان الى الصبية فاجابت في تأكيد :

ـ نعم اسمه محمود .. اتعرفه .؟

واربكه السؤال فهو لا يستطيع ان يقول انه لا يعرفه .. محمود هذا الاسم الذي تردد في اذنيه قبل ان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عيناك في قلبي

يا ساحر العينين ما أجملك ... تعال تلق منزلي منزلك
فانظر تر الشباك مستنظرا ... ببسمة من شوقه استقبلك
والباب مفتوح على رحبه ... فكيف قلبي وهو في الحب لك
الفل ملء الدار انفاسه ... فواحة ملء الثرى والفلك
وكل شيء حولنا ضاحك ... حتى اسوداد الافق عند الحلك
والبلبل المسجون في كوخنا ... غناك مسرورا كما غازلك
فالمقعد المشتاق مستأنس ... كم ماد تيها بعدما استمهلك
والضوء هذا نوره فاضح ... ما بيننا.. عني أنا قبلك
تلك الورود الحمر في كوبها ... بخدها كم قبلت انملك
أراك مخجولا كما أخجلت ... كلاكما عيني وقلبي امتلك
ان كنت تهواني فلي شاهد ... عيناك في قلبي.. فلن أسألك

زحلة — رياض معلوف

تعي اذناه ، واستمر يسمعه اربعا وثلاثين سنة دون ان يجرؤ احد بالسؤال : اتعرفه ؟ ومحمود هذا الذي يلتقي به في الشارع والمعمل والدكان والمقهى فتلتقي العينان ويتعارف الوجهان دون ان ينبس احدهما للاخر بـ «السلام عليكم» ولكنه لا يعرف محمودا هذا الذي تحدثه عنه عائشة .

وزايله الارتباك قليلا وهو يجيب :

ـ لا .. لا أعرفه .

وادرك ان الصبية سرى عنها ، فهي فيما يبدو لا ترغب في ان يعرف احد من هؤلاء الذين تمد اليهم يدها بالسؤال فيمنحون او يمنعون اباها محمود ، لانه هو نفسه لا يرغب في ان يعرف احد ان عائشة هذه التي تمد يدها بالسؤال هي ابنته ، واكتفى بهذا الذي ادرك من ملامحها فسأل :

ـ ولكن يا بنيتي لم يتركك السي محمود هكذا تمدين يديك بالسؤال وقد كان من واجبه ان يحميك ذل المسألة .؟

القى السؤال ثم فكر في ان عائشة لن تدرك شيئا من هذا الذي يسأل عنه، فهي ولا شك فتحت عينيها على الاستجداء دون ان تعرف علة لذلك، او تفكر يوما في انها ما كان ينبغي ان تمد يدها مستجدية . ولكنها خيبت ظنه وهي تجيب في وعي :

ـ وعد الله يا بوي .

وصعدت زفرة طافحة بالالم وهي تردد :

ـ وعد الله يتصرف يا بوي ...

وبدا محمود يحس بانه امام نفس مغلقة على اسرار خاصة . ولكن اسم عائشة كان قد حطم بينهما منطقة الاسرار، فتجرا وهو يسألها :

ـ ابوك السي محمود (وفضل ان يذكر اسمه مقرونا بالسي ليزيد اقترابا من نفسها) مريض ام هو فقير؟

ـ ليس مريضا (وفكرت قليلا قبل ان تضيف متعثرة) ...وليس فقيرا.

ـ وماذا يعمل ؟

وواجهها السؤال كأنها لم تكن تتوقعه ، وتوقفت قليلا وهي تتطلع الى وجه محمود ، وكانت عيناه الحادتان في عينيها كأنهما تأمران بالاجابة :

ـ يعمل..؟كان يعمل..كان يعمل في معمل .

ـ واحس بالحاجة الى مساعدتها:

ـ والان اين يعمل ؟

ـ والان لا يعمل شيئا هو دائما في «البراكة» ينتظرنا ظهرا ... وينتظرنا مساء .

ـ ينتظركما ..؟ انت ومن معك ؟

ـ أمي ... أمي .

أرهقتها الاسئلة فنفرت وهي تولي الادبار قائلة :

ـ الله يهنيك .. مع السلامة .

وتوقف محمود وهو يتطلع الى البنت الصغيرة عائشة تجري وراء صيد آخر تلاحق ظله ويدها الصغيرة ممدودة . وخيل اليه انه يسمع صوتها العذب يهتف :

ـ شيء بركة لله ... الله يخلي لك اولادك .

وعاد محمود الى بيته الصغير المتواضع خلف العمارة الكبيرة ودخل الباب وهو يحس انه يجتاز عتبة «براكة» . عائشة تقلب دفاترها تبحث عن كتاب .. «رحمة» في المطبخ الصغير تعد الغذاء .. وقف بين ابنته وزوجته وفاضت عيناه بدمعتين كبيرتين وهو يجهد نفسه ليخفي عنهما ان المعمل قد طرده .

الرباط ـ المغرب — عبدالكريم غلاب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com